

روح المعاني

والمعذرة واختلف في المراد هنا ف قيل : الشرك واختار هذا القول الزجاج ورواه عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكأن التعبير عن الشرك بالفتنة أنها ما تفتتن به ويعجبك وهم كانوا معجبين بكفرهم مفتخرين به والكلام حينئذ إما على حذف مضاف كما يقتضيه ظاهر كلام البعض وإما على جعل عاقبة الشيء عينه ادعاء وهو أحلى مذاقا وأبعد مغزى والحصص اضافي بالنسبة إلى جنس الأقوال أو ادعائي .

وقوله تعالى : وإنا ربنا ما كنا مشركين .

32 .

- كناية عن التبري عن الشرك وانتفاء التدين به أي ثم لم يكن عاقبة شركهم شيئا إلا تبرئهم منه ونص الزجاج أن مثل ما في الآية أن ترى انسانا يحب غاويا فاذا وقع في مهلكة تبرأ منه فيقال له : ما كان محبتك لفلان إلا أن تبرأت منه وليس ذلك من قبيل عتابك السيف ولا من تقدير المضاف وإن صح ذلك فيه وهو معنى حسن لطيف لا يعرفها إلا من عرف كلام العرب وقيل : المراد بها العذر واستعملت فيه لأنها على ما تقدم التخليص من الغش والعذر يخلص من الذنب فاستعيرت له .

وروي ذلك عن ابن عباس أيضا وأبي عبد الله وقتادة ومحمد بن كعب رضي الله تعالى عنهم وقيل : الجواب بما هو كذب ووجه الإطلاق أنه سبب الفتنة فتجوز بها عنه إطلاقا للمسبب على السبب ويحتمل أن يكون هناك استعارة لأن الجواب مخلص لهم أيضا كالمعذرة قيل : والحصص على هذين القولين حقيقي والجملة القسمية على ظاهرها و تكن بالتاء الفوقانية و فتننتهم بالرفع قراءة ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وقرأ حمزة والكسائي يكن بالياء التحتانية و فتننتهم بالنصب وكذا قرأ ربنا بالنصب على النداء أو المدح وقرئ في الشواذ ربنا بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وهو توطئة لنفي إشراكهم وفائدته رفع توهم أن يكون نفي الإشراك بنفي الإلهية عنه تقدس وتعالى وقرأ الباقون بالتاء من فوق ونصب فتننتهم أيضا وخرجوا قراءة الأولين على أن فتننتهم اسم تكن وتأنيت الفعل لاسناده إلى مؤنث و أن قالوا خبره . وقرأ حمزة والكسائي على أن أنقالوا هو الاسم ولم يؤنث الفعل لاسناده إلى مذكر و فتننتهم هو الخبر .

وقراءة الباقيين على نحو هذا خلا ان التأنيت فيها بناء على مذهب الكوفيين فانهم يجيزون في سعة الكلام تأنيت اسم كان إذا كان مصدرا مذكرا وكان الخبر مؤنثا مقدما كقوله : . وقد خاب من كانت سريرته العذر .

ويستشهدون على ذلك بهذه القراءة وذهب البصريون إلى أن ذلك ضرورة وقيل : إن التأنيث على معنى المقالة وهو من قبيل جاءته كتابي أي رسالتي ولا يخفى أن هذا قليل في كلامهم وقال الزمخشري ونقل بعينه عن أبي علي : إن ذلك من قبيل من كانت أمك ونوقش بما لا طائل فيه وزعم بعضهم أن القراءتين الأخيرتين أفصح من القراءة الأولى لأن فيها جعل الاعرف خبرا وغير الاعرف اسما لأن ان قالوا يشبه المضمرة والمضمرة أعرف المعارف وهو خلاف الشائع المعروف دونهما وفيه نظر إذ لا يلزم من مشابهة شيء لشيء في حكم مشابهته له في جميع الاحكام والجملة على سائر القراءات عطف على الفعل المقدر العامل في يوم نحشهم الخ على ما مرت الإشارة اليه وجعلها غير واحد عطفا على الجملة قبلها و ثم اما على طأهرها بناء على القول الأول واما للتراخي في الرتبة بناء على القولين الاخيرين لان معذرتهم أو جوبهم هذا أعظم من التوبيخ السابق .

وأنت تعلم أنه لا ضرورة للعدومل عن الظاهر لجواز أن يكون هناك تراخ في الزمان بناء على أن الموقف عظيم فيمكن أن يقال : إنهم لما عاينوا هول ذلك اليوم وتجلي الملك الجبار جل جلاله عليهم بصفة الجلال كما ينبىء